ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

الحرب النفسية: أحد أوجه الصراع المُحتدم

محمد علي جعفر

في وقتٍ تتجه فيه الأطراف نحو استخدام أساليب القوة الناعمة، تظهر الحرب النفسية كوسيلة قديمة جديدة في الصراع. فيما يتزامن اشتداد الحرب النفسية مع التحوُّل من الحرب الصلبة العسكرية الى سعي الأطراف كافة للإستفادة من نتائج هذه الحرب وتجييرها عبر استخدامها بأسلوبٍ ناعم. وهو الأمر الذي باتت تشهد عليه الظروف الحالية وسلوك الأطراف المختلفة. فما هي أهم أوجه هذه الحرب الحالية؟

منذ أيام خرجت مسرحية نتنياهو في الأمم المتحدة حول مخازن الأسلحة النووية في لبنان وإيران، وبدأت التحليلات تتحدث عن التحضير لحربٍ اسرائيلية. خطاب نتنياهو جاء ضمنَ الحرب النفسية، وردّات الفعل كذلك. وهنا فإن استخدام الأساليب الناعمة النفسية لا ينفي الحرب العسكرية كما يعتقد البعض، بل تُستخدم في كافة الإحتمالات. لنقول أن الحرب النفسية ليست بديلاً عن الحرب العسكرية دوماً، بل قد تكون مقدمة أو نتيجة لها.

في مقابل الخطاب، جاءت ردة الفعل اللبنانية الرسمية وكذلك الإيرانية، لتكون ضمن مسار هذه الحرب. عزّز هذا الرد اللبناني رسمياً وشعبياً، معادلة الردع الإستراتيجي التي باتت واقعاً مواجهاً للكيان الإسرائيلي، ومرتبطاً بعناصر القوة المتعلقة بالأمن القومي اللبناني. فيما تأتي هذه الأفعال وردود الأفعال ضمن الحرب غير المباشرة، التي تُشن على محور المقاومة، في محاولة للتخفيف من انتصاراته الميدانية المتتالية.

عدة مظاهر ليست بجديدة أبرزت في السابق مكانة الحرب النفسية في الصراع المُحتدم. لتكون الأساليب الحالية ضمن السياق والمسار الا ستر ا تيجي المرسوم للمنطقة. دون أن يعني ذلك نجاح الخيارات الأمريكية، بل إن تحليل السلوك الأمريكي الإسرائيلي الحالي يدل على أن ما يُعتمد حالياً من أساليب ناعمة في الصراع، هو نتيجة لفشل الأساليب السابقة.

في كتابه "عصر المقاومة وصناعة النصر (٢٠١٧/١٩٨٢)" يُشير الكاتب حسن حردان الى نقاط القوة التي ساهمت في انتصار حزب اللّه منذ ١٩٨٢ وصولاً الى الحرب السورية. يسرد الكاتب في إحدى الفصول مظاهر الحرب غير المباشرة على حزب اللّه. هذه المظاهر هي في الحقيقة أساليب ناعمة جاءت ضمن حربٍ باردة نفسية لم تؤت ثمارها. من القرار ١٥٥٩ مروراً بتجيير نتائج اغتيال الشهيد رفيق الحريري على الصعيد السياسي وصولاً الى المحكمة الدولية. في العام ٢٠١٠ اعترف السفير الأمريكي السابق في لبنان هنري فيلتمان، بأن الولايات المتحدة خصصت مبالغ خيالية لتمويل حربٍ إعلامية وسياسية ضد حزب اللّه عبر وسائل إعلام ومؤسسات ذات طابع دولي وهو ما كشفه موقع ويكيليكس لاحقاً حول دور السفارة الأمريكية في بيروت.

بالعودة الى السنوات السابقة فيبدو واضحاً أن الغزو العسكري الأمريكي للعراق كان مقدمة لتدمير الدولة العراقية على أسس قومية ومذهبية والعبور نحو المنطقة كما يُشير بريجنسكي الذي يعتبر أن إحكام السيطرة على الشرق الأوسط يبدأ من البوابة العراقية. وهو ما لحقته استراتيجية "الشرق الأوسط الجديد" والتي روّج لها المحافظون الجدد. اليوم تعود الإدارة الأمريكية لإستخدام هذا الأسلوب الناعم ضد إيران، من خلال إدارة حربٍ نفسية وإعلامية هادفة لتحريك القوميات لا سيما الكردية، وهو ما يبدو أنه المهمة الأصلية لمجموعة العمل حول إيران والتي أعلن عن تشكيلها وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو في آب الماضي. يُعزز هذا التوجه الأمريكي التحليل الذي كتبه "زاك هووف" الخبير في الشؤون الكردية في صحيفة "جيروزاليم بوست" أمس، حول الدور الذي يمكن أن يلعبه الأكراد في الحرب الأمريكية السياسيةو الإعلامية ضد ايران.

* نتائج الإنتصارات ودورها في الحرب النفسية لمحور المقاومة

عدة أمور عززتها انتصارات محور المقاومة يمكن أن تساهم في نجاح الحرب النفسية المضادة نذكر أهمها:

أولاً: عززت الإنتصارات من البيئة الإستراتيجية لمحور المقاومة والدعم الشعبوي لخيار المقاومة وتعزيزه في الوعي العربي ما أضعف النهج العربي القائم على الخنوع للمشروع الأمريكي.

ثانياً: رفعت الإنتصارات منسوب القلق الإسرائيلي من قدرات محور المقاومة والشبكة التي بات يتضمنها المحور والممتدة من سوريا الى لبنان فإيران وفلسطين والعراق واليمن.

ثالثاً: أنهت الإنتصارات الهيمنة الأميركية والغربية على النظام العالمي والقرار الدولي، وأنشأت نظاماً متعدد الأقطاب يضم محور المقاومة وحلفائه المنافسين لواشنطن كروسيا والصين.

تدخل الصراعات الحالية مرحلة جديدة عبر استخدام أساليب الحرب النفسية وتفعيلها من جديد. أساليب تقوم على استخدام الخداع ضد الجمهور والرأي العام، يلعب فيها الإعلام دوراً أساسياً. وهو ما بات يحتاج الى استراتيجية قادرة على تحويل نقاط القوة التي خلفتها الإنتصارات وتجييرها في خدمة هذه الحرب.

الصفحة الاجنبية: أميركا عاجزة عن طرد إيران من سوريا

أجرى موقع "ديفنس وان" مقابلة مع وزير الحرب الاميركي الاسبق "تشاك هيغل" وجه فيها الاخير انتقادات حادة الى اللهجة التصعيدية التي تستخدم من قبل مسؤولين في ادارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب حيال ايران.

وقال "هيغل" - الذي شغل منصب وزير الحرب الاميركي خلال فترة من حقبة الرئيس الاميركي السابق باراك اوباما - إن "الولايات المتحدة لا تسيطر على نصف سوريا حتى"، مضيفاً إن وجود الفين جندي اميركي في شمال شرق سوريا ليس كافياً أبداً "لطرد الايرانيين" من البلاد.

واعتبر أنه من الحماقة الاعتقاد أنه يمكن فرض أي شيء على سوريا أو روسيا أو ايران من خلال أسلوب التهديد.

كما أشار "هيغل" الى أن "الايرانيين يعيشون بمنطقة الشرق الاوسط والى أن "الولايات المتحدة لا تعيش فيها". وعليه سخر من مواقف مستشار الأمن القومي الاميركي جون بولتون، وشدد على أن السبيل الوحيد لتخطي المشكلة هو ايجاد تسوية تستند على المصالح المشتركة لدول المنطقة، لافتاً الى أن الحقائق الجيوسياسية تقتضي ذلك.

وتساءل "هيغل" عن الغاية من وجود الفين جندي اميركي في سوريا على صعيد السياسة الخارجية، وقال إنه "لا يعرف ما هي أهداف الولايات المتحدة بالشرق الاوسط أو اي مكان آخر تقريباً على صعيد السياسة الخارجية".

كذلك شدد وزير الحرب الاميركي الاسبق على أنه لا يمكن جلب الاستقرار الى سوريا من دون الروس والايرانيين و"لاعبين آخرين في المنطقة"، معتبرًا أنه لا يبدو أن هناك سياسة أميركية بالشرق الاوسط.

ولفت الى أن قرار ادارة ترامب الاخير بنقل أربعة بطاريات لنظام صواريخ الباتريوت من عدد من دول الخليج الفارسي لا ينسجم ولهجة هذه الادارة التصعيدية تجاه ايران.

وأكد وزير الحرب الاميركي الاسبق أيضاً أن الجيش لا يمكنه أن يحل المشاكل لوحده وأنه يجب استخدام الجيش كقوة للمساعدة على تنفيذ وحماية هدف استراتيجي بالسياسة الخارجية.

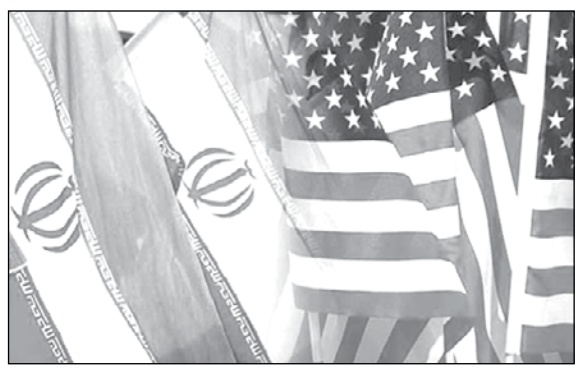

*استراتيجية ترامب حيال ايران وكوريا الشمالية ستفشل

في سياق متصل كتب الدبلوماسي الأميركي السابق "ولي نصر" مقالة نشرت أيضاً على موقع "ديفنس وان" اعتبر فيها أن الاستراتيجية التي يتبعها الرئيس الاميركي دونالد ترامب بممارسة الضغوط القصوى على كوريا الشمالية وإيران بهدف ابرام صفقات تاريخية مع البلدين لن تحقق نجاحاً.

وقال الكاتب إنه بات واضحاً أكثر فأكثر أن ما يأمل بتحقيقه ترامب عبر الضغوط القصوى على إيران وكوريا الشمالية لا ينسجم ورؤية فريقه للأمن القومي.

وأوضح أن ترامب بسلوكه مع الزعيم الكوري الشمالي "كم جونغ أون" وتصريحه حول ايران يحاول جر البلدين الى محادثات دبلوماسية، مشيراً الى أن أعضاء فريق ترامب يتحدثون وكأنهم يفضلون اخضاع البلدين، والى أن طهران وبيونغيانغ يدركان ذلك جيداً.

ولفت الكاتب الى أن وزير خارجية كوريا الشمالية "ري يونغ هو" رفض الاسبوع الماضي أي خطوة باتجاه التخلي عن برامج بلاده النووية والصاروخية الا في حال قدمت الولايات المتحدة تنازلات ملموسة، وذلك خلال جلسات الجمعية العامة للامم المتحدة.

وعليه خلص الكاتب الى أن الضغوط ربما اقنعت "كم جونغ أون" على عقد لقاء، لكن الضغوط لوحدها لن تحقق لترامب الصفقة التي يريدها.

وتابع الدبلوماسي الاميركي السابق أن عدم الاستسلام يشكل اولوية بالنسبة الى إيران وكوريا الشمالية، وذلك يعني أن استراتيجية الضغوط القصوى ستفقد قيمتها مع مرور الوقت.

وأضاف أنه في حال استمر فريق ترامب للامن القومي بالضغوط القصوى، فإنه سيواجه مقاومة من ايران وكوريا الشمالية.

وأردف الكاتب إن دخول إيران بمحادثات مع ترامب سيؤدي فعلياً الى تصفية الاتفاق النووي الذي وقعت عليه طهران عام ٢٠١٥، على حد قوله.

وأكد الكاتب أن الضغوط لا تطال فقط كوريا الشمالية وايران بل هذه السياسة تستهدف المجتمع الدولي باكمله، لكنه رجح في المقابل أن يقاوم المجتمع الدولي هذه الضغوط الاميركية وأن يؤدي ذلك الى انهيار هذه السياسة التي يتبعها ترامب.

واعتبر "ولي نصر" أن الجلسة الخاصة التي انعقدت بمجلس الأمن الاسبوع الفائت حول ايران، بيّنت أن استراتيجية الضغوط القصوى التي تتبعها ادارة ترامب لا تحظى بالكثير من الدعم الدولي.

وأشار الى أن الضغوط الاميركية دفعت بكل من أوروبا والصين وروسيا الى البحث عن سبل "للتحايل" على العقوبات الاميركية.

وفي الختام قال الكاتب إن كل ذلك يعني أن استراتيجية الضغوط القصوى من قبل واشنطن ستؤدي على الارجح الى عالم لن تستطيع فيه الولايات المتحدة أن تمارس الكثير من الضغوط على الاطلاق.

*حلفاء أميركا يقامون ضغوطها فيما يخص العقوبات على ايران

من جهتها تطرقت مجموعة "صوفان" للاستشارات الامنية والاستخبارتية بتقريرها اليومي الى موضوع العقوبات الأميركية على ايران، وحمل هذا التقرير عنوان "الحلفاء يقاومون الضغوط الاميركية على ايران".

وأشارت المجموعة الى اعلان كل من فرنسا والمانيا وبريطانيا والمفوضية الاوروبية اواخر شهر ايلول / سبتمبر الماضي انشاء آلية خاصة تسمح للشركات الاوروبية التي تمارس العمل التجاري مع ايران بتجنب العقوبات الاميركية.

كما لفتت الى سيناريو آخر طرح من قبل الاتحاد الاوروبي وهو انشاء آلية لشراء النفط الايراني عبر المقايضة أو عملات اخرى غير الدولار الأميركي.

وذكّرت المجموعة أيضاً بتصريح وزيرة خارجية الاتحاد الاوروبي "فيديريكا موغيريني" أواخر الشهر الفائت، والذي شددت فيه على أن أي دولة أو منظمة سيادية لا يمكن أن تقبل أن يقرر طرف آخر مع من يسمح بالعمل التجاري معه.

وأضافت المجموعة أن كل من اليونان وايطاليا واسبانيا قامت فيما بينها باستيراد ٢٥٠,٠٠٠ برميل باليوم من النفط الايراني، وذلك شكل بالتالي رفضاً للاصرار الاميركي على تقليص مشتريات النفط من ايران الى الصفر.

كما تابعت المجموعة أن كل من بيكن ونيودلهي اعلنتا انهما لن يتعاونان مع العقوبات الاميركية، مشيرة الى أن كلا البلدين استورد مليون برميل باليوم من النفط الايراني الخام خلال شهر أيلول/سبتمبر الماضي.

وأردفت إن الصين والهند استوردتا بالتالي نسبة ستين بالمئة من حجم صادرات النفط الايراني لشهر ايلول / سبتمبر الماضي والذي كان ١,٦ مليون برميل باليوم.

وأكدت المجموعة كذلك أن الضغوط الاميركية المستمرة بهدف دفع الدول الى التعاون مع العقوبات الاميركية تركت الولايات المتحدة بحالة عزلة سياسية في قضية ايران.

أسلوب ترامب وحلب الأموال

غالب قنديل

لا يجهد الرئيس الأميركي نفسه في التفكير لاختيار التعابير الدبلوماسية والمنمقة لمخاطبة حلفائه وخصومه على السواء وهو على استعداد للتقلب بين أسوأ أشكال الشتيمة والهجاء وأشد عبارات المديح والغزل وفقا لما يرتأيه في العلاقة بأي دولة او زعيم كما جرى في تصريحاته المتقلبة حول كوريا الشمالية والزعيم كيم جونغ أون.

تجعل مكانة الإمبراطورية الأميركية المهيمنة في العالم من هذه الطريقة في القول والتصرف نمطا جديدا في إدارة العلاقات الدولية يتسم بالفجاجة والعري وبالتالي يكشف ذلك بوضوح تعامل حكومة الولايات المتحدة كقوة متغطرسة تتصرف بعنجهية ولصوصية بوصفها ناهبا دوليا يريد تثبيت الهيمنة الأميركية في العالم بعدما زحفت عليها تحولات وتغييرات باتت تمثل مصدرا للقلق والاضطراب الذي يشي به السلوك الأميركي فيلائمه ويعبر عنه سلوك رئيس كدونالد ترامب.

في إدارة العلاقة الأميركية السعودية ظهرت نظرية حلب الأموال التي صاغها دونالد ترامب منذ انطلاق حملة ترشيحه للرئاسة وهو ما كان ميلا دفينا عند اليمين الجمهوري عبر عنه العديد من الكتاب والصحافيين ترامب يتابع في الطريق نفسه مع كل مناسبة او سانحة منذ اعتماده لتشبيه المملكة السعودية بالبقرة الحلوب وقد اظهرت الاستجابة السعودية لطلبات ترامب المالية منذ زيارته الشهيرة إلى الرياض وكانت اول محطة له في الخارج بعد تنصيبه مدى الطواعية والتبعية السياسية السعودية وقد ركزت الإدارة الأميركية الجديدة على استثمار ما أسست له إدارة باراك اوباما من خطوط حلب الأموال سواء عبر

ورطة حرب اليمن المربحة للولايات المتحدة لما فيها من تسويق للأسلحة والذخائر وللخدمات التقنية الأميركية واختبارات للقنابل المنتجة حديثا أم من خلال صفقات السلاح الدورية التي باتت منذ عقود تقليدا سعوديا لا يتصل بالجدوى او بالحاجة.

المال كان دائما يحكم العلاقة الأميركية بأصدقاء الولايات المتحدة في منطقة الخليج الفاسي وليس ذلك فحسب على صعيد امتيازات الشركات الأميركية في حقول النفط وأسواقه بل على صعيد ما يكرره ترامب عن الحماية الأمنية والعسكرية للحكومات القائمة وقد جعلت الحملات الأميركية منذ عقود من تضخيم الأخطار والتهديدات الافتراضية والمصطنعة مصدرا لإحكام القبضة على عواصم المنطقة التي تلبست خلال أربعة عقود "الرهاب الإيراني" والتصقت بالغرب واستجلبت الأساطيل والقواعد ودفعت الكثير.

دونالد ترامب وضع إدارة هذه العلاقة تحت الضوء وجعل من كل تطور فرصة لطلب المزيد من المال للشركات وللخزينة الأميركية وهكذا فإن ورطة حرب اليمن التي ساهمت في إشعالها إدارة باراك اوباما وفقا لكتاب وخبراء اميركيين باتت تدر سنويا على الولايات المتحدة اكثر من خمسين مليار دولار تدفعها الحكومة السعودية للشركات الأميركية فكيف يعقل تصديق الكلام الأميركي عن وقف هذه الحرب التي تمثل استثمارا مربحا بهذا الحجم.

سر العائدات المالية في الحروب الأميركية يكتم عادة كما هي حال الحرب الأفغانية المتواصلة منذ سبعة عشر عاما وليس ثمة إرادة لإنهائها أقله من جانب واشنطن التي لا تبرح تمدد لانتداب قواتها وتزيد عديدها ويصح نعتها بحرب الأفيون لما تمثله من مورد وفير لتجارة المحاصيل الأفغانية الضخمة التي يشرف عليها ضباط المخابرات الأميركية والقوات الخاصة بالشراكة مع زعماء بعض القبائل الأفغانية وقادة طالبان وقد تفتقت عبقرية دونالد ترامب عن اقتراح تلزيم حرب أفغانستان لشركات المقاولات العسكرية التي تستخدم جيوش المرتزقة بدلا من القوات الأميركية النظامية وهي فكرة تستكمل صورة الاستثمار المالي فتصبح حقول أفغانستان تحت حراسة الشركات الأمنية الأميركية.

ما أثاره السيد حسن نصراللّه من أفكار ومواقف حول أسلوب ترامب في معاملة حكومات الدول التابعة من خارج اللياقات وبجلافة طلب المال على الهواء مباشرة صحيح تماما وهو يفضح بشاعة الإذعان والارتهان السياسي والخضوع لمنظومة الهيمنة الأميركية.

المؤشرات الأخيرة تعزز فرضية التدبير الأميركي لتوريط المملكة السعودية وابتزازها بصورة تذكر بالغزو العراقي للكويت وبدر السفيرة ابريل غلاسبي فمن الواضح ان اخفاء الصحافي الخاشقجي وربما تصفيته كان فخا زلقا وقعت فيه القيادة السعودية بفعل نمطها وطبيعة نهجها وهي لم تعر بالا إلى وطأة الفضيحة وتفاعلاتها في الغرب والمنطقة بينما ستمثل النتائج فرصة سانحة لحلب الأموال يعول عليها الرئيس الأميركي دونالد ترامب ومعه الرئيس التركي رجب أردوغان فهما يتوليان هندسة المخرج السياسي والإعلامي للورطة السعودية عبر إعداد ما سيتم إعلانه والتصريح به بعد موجات عاتية من التسريبات والتقارير التي ضج بها العالم حول ما جرى داخل القنصلية السعودية بعد دخول الخاشقجي إليها.

الضجة الأميركية كبيرة حول القضية وكذلك الضجة التركية ويشاع كلام كثير عن التكهنات والنتائج وفي الحصيلة لا يمكن لفلفة كل ذلك وتخريجه بتلفيق رواية ما دون شراكة ستطلب ثمنها السياسي والمالي كل من الولايات المتحدة وتركيا وسيكون على المملكة السعودية ان تدفع لاستنقاذ سمعتها وصورتها السياسية الملطخة.

+اللافت للانتباه ان مصالحة تركية أميركية قد تمت تحت غطاء الضجة وفي قلبها بالإفراج عن القس برونسون الذي كان عنوانا رئيسيا في أزمة مستعرة بين الحليفين وهو ما ينذر بعودة الحياة إلى الشراكة بينهما ما سيتيح فرصا أكيدة للتنسيق والتناغم في حلب المال السعودي .